

أضواء البيان

@ 445 @ عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوَّامِينَ { ، وقوله : { إِنَّ عِبَادِي لَآيَسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } فالاستثناء يدل على أن له سلطاناً على من اتبعه من الغاوين : مع أنه نفى عنه السلطان عليهم في آيات أخر .
قوله : { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ { . . .
وقوله تعالى حاكياً عنه مقررأً له : { فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْهِكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } . . .
فالجواب هو : أن السلطان الذي أثبت له عليهم غير السلطان الذي نفاه ، وذلك من وجهين . . .

الأول أن السلطان المثبت له هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه ، والسلطان المنفي هو سلطان الحجة . فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها ، غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان . وإطلاق السلطان على البرهان كثير في القرآن . . .
الثاني أن اﷻ لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداء البتة ، ولكنهم هم الذين سلّطوه على أنفسهم بطاعته ودخولهم في حزبه ، فلم يتسلط عليهم بقوة . لأن اﷻ يقول : { إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } . وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم . . .
ذكر هذا الجواب بوجهيه العلامة ابن القيم رحمه اﷻ . وقد بينا هذا في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) . قوله تعالى : { وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَّا كَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّا نَسْمَعُ آيَاتَ الْمُفْتَزِينَ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه إذا بدل آية مكان آية ، بأن نسخ آية أو أنساها ، وأتى بخير منها أو مثلها أن الكفار يجعلون ذلك سبباً للطعن في الرسول صلى اﷻ عليه وسلم . بادعاء أنه كاذب على اﷻ ، مفتر عليه . زعماء منهم أن نسخ الآية بالآية يلزمه البداء ، وهو الرأي المجدد ، وأن ذلك مستحيل على اﷻ . فيفهم عندهم من ذلك أن النَّبِيَّ صلى اﷻ عليه وسلم مفتر على اﷻ ، زاعمين أنه لو كان من اﷻ لأقره وأثبتته ، ولم يطرأ له فيه رأي متجدد حتى ينسخه . . .
والدليل على أن قوله : { بَدَّلْنَا آيَةً مَّا كَانَ آيَةً } معناه : نسخنا آية وأنسيناها قوله تعالى : { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا } ، وقوله : { سَنُقَرِّئُكَ فَلَا

